المفاهيم الصهيونية وأثرها في الشعر العبري الحديث

المدرس: أزهر كريم حميد
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
azhirkaream@yahoo.com

الملخص:

تناول البحث موضوع المفاهيم الاستيطانية الصهيونية وأثره في الشعر العبري الحديث، وقد تركز البحث في اعطاء مقدمة أولية عن المفاهيم الاستيطانية، اذ نجح الصهاينة في إيجاد تنظيمات ومؤسسات صهيونية ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في ترسيخ مفاهيم صهيونية جديد وإرساء اسسه وتدعيمه والتي لها دور فعال في هجرة طبقة من العمال الشباب ؛ وذلك بقصد بناء الاستيطان الصهيوني. ثم تطرقت بعد ذلك إلى أولى المفاهيم الصهيونية وهو العمل العبري واحتلال الارض وكذلك حراسة الارض وتعبيد الطرق بهدف تدريب الصهاينة على فلاحة الارض للعمل من منظور "أن الأرض لمن يفلحها"، والتي تجمع بين الاستيطان والدفاع، وبين الصهيونية والاشتراكية لتطبيق فكرة الصهيونية الاشتراكية. ثم تناولت دور الحالوتسيم (الطلائعيين) في الاستيطان الصهيوني وكان هدفها خلق طبقة عمالية عبرية تكون ركيزة لشعب عامل ، له السيطرة على العمل والحراسة والدفاع عن حياة الصهاينة وممتلكاتهم في فلسطين. ثم تطرقت بعد ذلك إلى المفاهيم الصهيونية في الشعر العبري الحديث من أجل حث الجموع اليهودية على التمسك بالعمل الطليعي والحراسة للمحافظة على تحقيق الحلم الصهيوني الاستيطاني في أرض فلسطين.

الكلمات الافتتاحية : المفاهيم ، الصهيونية ، العمل العبري، الاستيطان.

Zionist concepts and their impact on modern Hebrew poetry

Teacher: Azhar Kareem Hameed

University of Diyala / College of Education for Human Sciences/ Department of History

Abstract:

The study Settlement concepts of Zionism And its impact And its impact on modern Hebrew poetry, And The study focused To give an initial introduction All settlement concepts, As the Zionists succeeded In finding organizations Zionist institutions Contributed directly and indirectly In establishing a new Zionist concepts And laying the foundations and strengthening Which have an active role in the migration of young people from the business layer ; With the intention of the Zionist settlement building. Turning then to the first Zionist concepts It is the work of the Hebrew and the occupation of the land The ground as well as guarding the ground and paving roads To work from the perspective of "The land to the tillers" , Which combines settlement and defense And between Zionism and socialism To apply the idea Zionist socialism.

Turning to the role of Alhalotsam In Zionist settlement Its goal was Creating a working class Hebrew Pillar of the people factor , Has control over the Work and guard and defense About the life of the Zionists and their property In Palestine. Turning then to Zionist concepts in modern Hebrew poetry In order to urge the Jewish crowd To hold on to the avant-garde work and guard To maintain the achievement of the Zionist dream of settlement In the land of Palestine.

key words: connotation / Zionism / Labour Hebrew

المقدمة:

إنّ إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ وإعلان الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م قد ساهما بشكل فعال في إنشاء ما أسموه بـ" الوطن القومي" وبناءً على ذلك هاجر كثيرون من الصهاينة إلى فلسطين، فوجدت الصهيونية ضرورة استغلال هؤلاء المهاجرون في أعمال ضخمة، كتشغيلهم في رصف الشوارع أو إقامة المعسكرات لإسكانهم، فهيأت خطة مدروسة لإعداد شبكة تعبيد الطرق تخدم المستوطنات الصهيونية التي يخطط لإنشائها، وقد اطلق على هذه المرحلة "**שלב הדרכים مرحلة الطرق**"، والتي شكلت نقطة تحوّل تخدم المستوطنات الصهيونية، كما تأسست "**גדוד העבודה كتيبة العمل**" لتساهم في انشاء العديد من المستوطنات الصهيونية والتي تعتمد على الزراعة والصناعة [١].

نجح المهاجرون الصهاينة في إيجاد تنظيمات ومؤسسات صهيونية ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في ترسيخ مفاهيم صهيونية جديدة وإرساء أسسها. فبعد أن واجهوا ظروفًا غير مشجعة وعزلة اجتماعية من قبل المستوطنين القدامى، راحوا يعتمدون على انفسهم لتأمين وجودهم في مواجهة الواقع الجديد من خلال خلق قوالب اجتماعية جديدة ومستقلة. فاتجه تفكيرهم إلى الاحزاب السياسية في ضوء تجربتهم في العمل الحزبي في روسيا. فأسس آنذاك حزب "**הפועל הצעיר العامل الفتي**" ليكون أول حزب يقيمه المهاجرون اليهود في فلسطين، كما قرر أعضاء حزب "**פועלי ציון عمال صهيون**" إقامة فرع للحزب في فلسطين واطلقوا عليه "**حزب العمال اليهودي الاشتراكي الديمقراطي**" . ساهم هذان الحزبان العماليان في ارساء أسس الأشكال الجديدة للاستيطان الزراعي وظهرت نواة النظم الذاتية التي تطورت بمرور السنوات، واصبحت المؤسسات المستقلة للاستيطان الجديد.

انشأت المنظمة الصهيونية مؤسسة خاصة لإعداد الأرض وتدريب العاملين وهي "**חברת הבשרת הישוב شركة تطوير اليشوف**" بهدف تدريب الشباب الصهاينة على فلاحة الأرض قبل هجرتهم إلى فلسطين[٢].

في عام أعقاب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧م ، أُعلن عن تأسيس حركة "**הפועל המזרחי العامل الشرقي**" على يد انصار حركة الشبيبة التابعة للمزراحي :"**הצעיר המזרחי الفتى الشرقي**" المتأثرين بالتيارات الاشتراكية في أوربا الشرقية والذين انظمو إلى تيار الهجرة الطليعية إلى فلسطين كجزء من الهجرة الثالثة من خلال الاستعداد للالتزام بوصية "**ההגשמה העצמית التحقيق الذاتي**" للحركة الطليعية [٣].

لقد شجعت المنظمة الصهيونية هجرة طبقة العمال الشباب أكثر من الطبقات المتوسطة _التي كانت المصدر الرئيسي للمزراحي_ ؛ وذلك بقصد بناء الاستيطان الصهيوني في فلسطين

في أسرع وقت، ومن هنا تشكل الأساس البشري للمنظمة العمالية الجديدة. وقد رفع رواد الحركة الجديدة شعار "**ההגשמה העצמית التحقيق الذاتي**" للصهيونية بواسطة "**תורת ועבודה التوراة والعمل**"، وبواسطة الدمج بين الفكر الديني القومي والفكر الاشتراكي، وذلك بهدف بناء (أرض الاجداد) وتوحيد العمال الدينيين – القوميين على أساس التوراة والعمل[٤]. وقد اعتبرت حركة المزراحي الام، هذه الحركة الجديدة حركة شبابية عمالية تابعة لها، وصادق مجلسها العالمي الذي عقد في برلين عام ١٩٢٤م على إقامتها ، وفي عام ١٩٢٥م تأسس (الاتحاد العالمي لحركة التوراة والعمل في الدياسبورا)[٥].

ويرى **بن جوريون** أن البعث القومي اليهودي لن يتم إلا عن طريق دين العمل الجماعي على الارض المملوكة ملكية جماعية، إذ يعود الشباب اليهودي للأرض (المقدسة) ليحرثوها ويزرعوها بأنفسهم دون أن يسمحوا لأي عامل عربي بأن يدخلها؛ لان العامل اليهودي أو العبري سيعمل بشكل ذاتي في مزارعة أو مصانعه الخاصة. أما اذا عاد ليعمل في مصانع أو مزارع الأخرين دون الاستقلالية، فأنه سيفشل في تحقيق أهداف المشروع الصهيوني. والعمال اليهود، إلى جانب ذلك، لن يعيدوا بَعْث أنفسهم وتطبيعها وغسل أدران المنفى عنها إن لم يعملوا بأنفسهم. فالشخصية اليهودية التي أحضروها معهم لابد أن يتم التخلص منها، وأن لم يعمل اليهود انفسهم، فأنهم لن يحلو محل الغريب، ولو حصل الصهاينة على كل سندات الاستيطان الدولية التي يطالب الصهاينة السياسيون، فإن البلد مع هذا سيظل في يد من يعمل فيه، أي في يد العرب، ولذا، لا ينبغي الاكتفاء بشراء الاراضي من العرب وانما بإحلال اليهود محلهم، فبدون العمل العبري سيظل المُستوطن الصهيوني في أيديهم[٦].

وقد ابرز بن جوريون أن "ارض فلسطين" هي الحيز الجغرافي الفعلي للاستيطان اليهودي فيقول: "بدون هجرة، واستيطان وعمل عبري لن نخلص "ارض فلسطين" ، ففلسطين لن تصبح "ارض إسرائيل" ليس كلها ولا جزء منها بدون امكانيات حقيقية مجسدة في الهجرة والاستيطان الواسع[٧].

ولقد ظلت حركة "**العامل المزراحي**" تعمل في اطار المنظمة الصهيونية كجزء من حركة المزراحي، إلا أنها راحت تلعب، بالتدريج، دورًا مستقلًا عنها في مؤسسات الاستيطان. على الرغم من أن عضوية العامل المزراحي راح يقوم بالعديد من الانشطة حال اقامة شبكة مستوطنات زراعية واسعة وكيبوتس ديني، وتأسيس حركة "**בני עקיבא ابناء عكيفا**"[٨]، ثم أنشأت حركة العامل المزراحي بنكًا باسم الحزب، والعديد من المؤسسات الاقتصادية ومؤسسات إسكانية واجتماعية أخرى، ومنظمة للشباب الديني العام باسم " **הנוער הדתי העובד الشباب العامل الديني**" وثانية باسم "**رابطة نساء هبوعيل همزراحي**"[٩].

وعلى امتداد فترة الانتداب البريطاني، وحتى منتصف الخمسينات حافظت المنظمتان "**العامل المزراحي**" و" **المزراحي**" على أطرهما المستقلة في فلسطين وفي الكيان الصهيوني، وخلال تلك الفترة تعاظمت قوة "**العامل المزراحي**"، حيث اصبحت أبرز الحركات العاملة في فلسطين واعظمها تأثيرًا. ويعود ذلك إلى طابع "**العامل المزراحي**" كحركة عمالية، وإلى نشاطها الاستيطاني، وبالتالي قدرتها على استيعاب الهجرات والأعضاء عبر الخدمات والعناية التي كانت توفرها للمهاجرين(١٠).

١ ـ "العمل العبري واحتلال الأرض":

ظهرت العنصرية الصهيونية عبر عملية الاستيطان بألوان مختلفة وصاغت مبدأ "العمل العبري" الذي يمجِّد العمل اليهودي ويدعو إلى حصره في "الشعب اليهودي" واستبعاد الأيدي العاملة العربية عن المشاركة في أوجه الأنشطة الاقتصادية اليهودية. ينبغي أن يكون أهم الأهداف الرئيسية للمهاجرين اليهود إلى فلسطين احتلال العمل من أيدي العرب خصوصا في المستوطنات اليهودية. كما طالب الدكتور "**נחמן סירקין - نحمان سيركين** (١١) " منذ عام ١٨٩٨م بتهجير عرب فلسطين ليحل اليهود محلهم بأساليب شتى(١٢).

وهكذا برز "**مفهوم العمل العبري**" الذي سرعان ما لحق به شعار "احتلال الأرض" الأساس المادي للعمل من منظور "إن الأرض لمن يزرعها"، إذ إن احتلال العمل يتم باحتلال الأرض والاستيطان فيها(١٣). وقد أسفرت مجهودات اليهود عن شراء بعض المساحات من الأراضي الفلسطينية، وطالبوا بأن يحلَّ العامل اليهودي محل العامل العربي في المجالات كافة، وعندما فشل المستوطنون الجدد في أداء مهمتهم في زراعة الأرض، نادت الأوساط الصهيونية باستقدام يهود اليمن للقيام بمهمة زراعة المستوطنات الجديدة وتعميرها؛ نظرًا لأن يهود اليمن يتمتعون بخبرة طويلة في مجال الزراعة، إلا أن سرعان ما أثبتت تجربة يهود اليمن فشلها من جرَّاء معاناة هذه الفئة من استغلال أصحاب المزارع ومستأجريها من ناحية، والتفرقة الشديدة في المعاملة بينهم وبين اليهود القادمين من شرق أوروبا، إذ كانوا ينظرون إلى اليمنيين بصورة دونية، مما دفع يهود اليمن للانسحاب من عملهم في الزراعة(١٤).

٢ـ "احتلال الحراسة":

شكَّلت منظومة احتلال الحراسة أيديولوجية في فترة بدايات الاستيطان الصهيوني في أرض فلسطين، والتي تقضي بأنه يجب على اليهود أن يقوموا بأنفسهم على حراسة مستوطناتهم وعدم الاحتياج إلى خدمات أفراد من شعوب أخرى، والعرب بصفة خاصة.

بدأ في فترة الهجرة الثانية تظهر مشكلات أمنية في التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين؛ بسبب تعاظم الهجمات العربية وتزايد الشعور بالانتماء القومي لدى العرب. وتحت تأثير الاضطرابات التي حدثت في روسيا سعى المهاجرون الجدد إلى نقل مسألة الحراسة على

المستوطنات إلى أيادٍ يهودية. وقد كانت هناك عدة أهداف نصب أعينهم أرادوا تحقيقها تمثلت فيما يأتي:

- هدف أمني، إذ إنهم لا يثقون في الحارس العربي.
- أن تكون الحراسة نواة لقوة مقاتلة مستقبلا.
- هدف اقتصادي يتمثل في خلق المزيد من فرص العمل للمهاجرين اليهود الجدد.
- هدف صهيوني يتمثل في الاستقلال، وإقامة نواة عسكرية، لأنه يجب الدفاع عن (أرض إسرائيل).
- هدف نفسي يتمثل في تدعيم صورة اليهودي (الضعيف في المنفى)[١٥].

وقد مرت منظومة الحراسة اليهودية في فلسطين بعدة مراحل تتمثلي فيما يأتي:

- عام ١٩٠٧م تم إنشاء منظمة "بن جيورا" بواسطة نشطاء تابعين لحركة "بوعالي تسيون" ممن قاموا بالدفاع عن اليهود في روسيا، بغرض احتلال الحراسة في منطقة الجليل الأسفل. وكان أول أهدافها حراسة التجمع اليهودي في منطقة الجليل الأسفل حيث كان يقيم أفراد الهجرة الثانية.
- عام ١٩٠٩م أنشئت منظمة "هاشومير" على أساس منظمة "جيورا" بهدف تعزيز الحراسة اليهودية والتسلل إلى المستوطنات من أجل إحلال اليهود محل العرب في الحراسة، وقد تم عقد اختبارات قبول صعبة، وكانت المنظمة انتقائية في اختياراتها.
- عام ١٩١٢م انتقل منظمة "هاشومير" إلى يهودا بعد أن أثبتت كفاءة في منطقة الجليل، وفي تلك الفترة كانت المنظمة مشغولة بالكثير من مهام الحراسة، لكنها رغم هذا بقيت منظمة صغيرة تضم أفضل العناصر[١٦].

وترجع أهمية منظمة "هاشومير" لعدة أمور، فقد شكَّلت في واقع الأمر النواة لخلق القوة الأمنية للتجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. وعظمت من القيم في المجال العسكري، ومنها المسألة محل الشك الخاصة بـ"طهارة السلاح". من الناحية التثقيفية والفكرية فقد جسدت المثل الخاصة بالشراكة والمساواة، وكان تأثيرها على الشباب في الشتات شديد للغاية، ومن الناحية الاقتصادية أسهمت المنظمة في الاستيطان الزراعي[١٧].

٣ ـ "تعبيد الطرق وكتيبتا العمل وشمارياهو":

لقد كانت الحالة الاقتصادية الصعبة في أعقاب الحرب العالمية الأولى سببا في عدم عثور الطلائعيين على فرص عمل، وقد بادرت آنذاك حكومة الانتداب البريطاني بطرح مجموعة من الأشغال العمومية ونوت منحها لمقاولين عرب، سعت الأحزاب العمالية الصهيونية إلى الحصول على هذه الأعمال ومن خلال المنافسة مع المقاولين العرب تمكنوا من الحصول على أعمال تعبيد

الطرق، ومن هنا بدأ مئات العمال الصهاينة في شق الطرق وتمهيدها، وعلى طول هذه الطرق وجدت مخيمات العمال الصهاينة، وهناك نشأ نمط خاص من الحياة الذي يؤمن بالمساواة وبالعدل الاجتماعي، والشعور بالشراكة والإخاء، والسعادة بالإنتاج والرضا بالقليل.

وفي مخيمات العمال نشأت جماعات، تجمع أفرادها حول أساس فكري طليعي يجمع بين الاستيطان والدفاع، بين الصهيونية والاشتراكية، وكانت أكبر جماعة بينهم جماعة "كتيبة العمل تخليدا لذكرى يوسيف ترومبلدور" التي تأسست بعد مرور ستة أشهر على مقتل ترومبلدور في الدفاع عن مستوطنة "تل حاي". لقد كانت قيم "كتيبة العمل" هي نفسها قيم حركة "الطليعي" والمتمثلة في تحقيق الذات، العمل اليدوي والشراكة. وتمثلت الأهداف الأساسية لكتيبة العمل فيما يلي:

- توسيع رقعة الاستيطان الزراعي.
- استيعاب موجات الهجرة الصهيونية.
- الدفاع عن التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين.
- احتلال العمل العبري وتطبيق فكرة الصهيونية الاشتراكية.

أما "كتيبة شمارياهو" فقد تأسست على أيدي أفراد "هاشومير هاتساعير" في سبتمبر عام ١٩٢٠م، وقد كانت الكتيبة جزءًا من المخيم العام للعمل لشق طريق حيفا، وبالفعل تمكن أفرادها من شق طريق حيفا وتفريغ شحنات الفحم في ميناء حيفا البحري، كما عملوا في أعمال تجفيف المستنقعات في منطقة "موشاف نهلال"، وقد ضمت الكتيبة في ذروة نشاطها نحو ١٥٠ عضوا(١٨).

٤- دور الحالوتسيم(الطلائعيين) في الاستيطان الصهيوني:

الطليعيون هم مجموعة من الشباب الصهيوني الذين أسسوا حركة صهيونية عمالية أسموها "**הפועל הצעיר العامل الفتي**"، وهي حركة ذات توجهات اشتراكية عمالية ركزت على العمل اليدوي، ورفعت شعار اقتحام العمل وعبرنته(١٩).

وقد وقفت الصهيونية بمؤسساتها الاستيطانية داخل فلسطين وخارجها بجانب مستوطنات الكيبوتس ورأت بأنها نوع استيطاني أساسي؛ ذلك لأنها " رأت فيه حلًا ذكيًا لعُقد اليهود في أوروبا الشرقية بوجه خاص. فعوضًا عن المراباة والخدمات قدم الكيبوتس لليهود فرص العمل والكدح الجسدي وعوضًا عن الازدراء والاضطهاد قدمت لهم القاب " طلائع" و"رواد" و"البطولة" عوضًا عن الحياة الطفيلية قدمت لهم فرض الحياة الطبيعية في وطن خاص بهم(٢٠).

وكان هدف هؤلاء الشباب هو خلق طبقة عمالية عبرية، تكون ركيزة لشعب عامل له السيطرة على العمل والحراسة والدفاع عن حياة الصهاينة وممتلكاتهم في فلسطين، وقد سعى هؤلاء الشباب

إلى بلورة شخصية نموذجية لعامل لديه وعي اجتماعي متطور، ولطليعي منجز للفكرة الصهيونية، وقد ابتدعوا فكرة "**الكيبوتس**" وأسسوا الاحزاب العمالية ووضعوا أسس "**الاستيطان العامل**"(دجانيا ومرحافيا وكنيرت وحولون وبيت شيمن وغيرها)، ونظموا الاتحاد الزراعي للفلاحين [٢١].

وقد توجهت منظمة "**החלוץ طليعي**" إلى الشباب اليهودي الذي تمرد على حياة الجيتو بمفاسدها الأخلاقية والاجتماعية وهامشيتها الاقتصادية. من هنا كان هدفها تهجير هذا الشباب إلى فلسطين والقيام بالتهويد حتى يتسنى لهم اقتحام العمل وتعلم اللغة العبرية والإلمام بالتراث اليهودي، فكانوا جيلًا ترك اسرته اليهودية بعدما ضجر ومل حياة الجيتو بكل سلبياتها ليقيم هذه المستوطنات الجماعية " **كيبوتسيم קבוצים** "[٢٢].

أن النموذج الذي يتحلق حوله أبناء الهجرة الثالثة هو نموذج "**החלוץ الطليعي**" والخط الأساسي الأول في شخصية "**الطليعي**" هو الأساس الاجتماعي والشخصي والتضحية بالذات. إنه شخص على استعداد لأن يكتفي بالقليل وعلى استعداد لحياة التقشف. وتنازله ليس لمجرد التنازل، بل من أجل تحقيق مهمة بالغة الأهمية للمجموع وعلى الأخص بالنسبة للمجموع الآتي في المستقبل، ذلك المجموع الذي سيهاجر والذي سينمو من بين نواة الجماعات الطليعية وانه "من السهل ان تعرف السمات الأساسية للطليعي وهي التأكيد القوي على تجديد الأرض، وخلق بشر جدد، ومرحلة جديدة".[٢٣]

أما الخط الرئيسي الثاني في شخصية "**الطليعي**" فهو طبيعة الأعمال التي يقوم بها من أجل الجماعة. وأول هذه الأعمال التأكيد الشديد على العمل الزراعي أو (اليدوي) بشكل عام وعدم استغلال الغير كطريق له أهمية من الدرجة الأولى من أجل استنفار همة اليهودي، وخلق بشر "جدد". ومن هنا برز بالتأكيد على أهمية الحياة في جماعة من طراز خاص كانوا يبشرون بها باصطلاحات الاشتراكين. وبالإضافة للعمل الجسماني تم التأكيد كذلك بقوة على مبدأ الدفاع عن النفس وعدم الارتباط بأي جماعة من الخارج[٢٤].

تأثر هؤلاء الرواد بالحياة اليهودية في أوربا الشرقية وحملوا عُقدها وردود أفعالها، فكانت "**حركة الشباب**" التي تنادي برفض حياة اليهود في اليهود في المنفى، أي (حياة اليهود خارج فلسطين) كما كانت ترفض جميع الحلول من قبل الحركات الليبرالية الانسانية، والاشتراكية والثورية في أوروبا الشرقية. وكانت صهيونية هؤلاء اليهود تقضي بالتمسك بحل "المشكلة اليهودية" عن طريق تحرير اليهود كشعب من (اللاسامية) على أساس عودة اليهود إلى فلسطين (أرض الأجداد والميعاد) والحياة هناك كأمة، كما كانت (تطهير النفس اليهودية) عن طريق العمل اليدوي والجسدي في تلك الأرض كعنوان للثورة على نمط الحياة اليهودية في (المنفى) وكتطبيق لشعار (استعادة الأرض والعودة إليها) [٢٥].

تُعد الهجرة الصهيونية الثالثة هي الوحيدة من بين الهجرات التي جلبت معها طاقة ثورية، ولكن هذه الطاقة لم تتحقق؛ لأن مهاجريها الشباب قد أخذوا على عاتقهم عبء عالم مفاهيم من سبقوهم، أولئك الذين رفضوا من بين رجال "**גדוד העבודה كتيبة العمل**" _وهي الانتاج الرئيسي للهجرة الثالثة_ الخضوع للأنماط الفكرية وللمبادئ العلمية الخاصة بزعماء الحركة القدامى، إما أنهم أزيحوا جانبًا، أو هجروا الحياة السياسية أو غادروا فلسطين.

وقد اكدت (جولدا ميئير) رئيسة وزراء إسرائيل في السبعينات وكانت من بين طلائع الهجرة الثالثة، هذا الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية الثالثة في صياغة مفاهيم وافكار وبرامج عمل الاستيطان الصهيوني في فلسطين في المقال الختامي "**لكتاب الهجرة الثالثة**" الذي صدر عام ١٩٦٤م بقولها: "يبدوا لي أن الهجرة الثالثة لم تجدد في أسس حركة العمل، إذ ان العمل العبري، وحياة الكيبوتس وفلاحة الأرض، كانت بمنزلة أشواق، على الرغم من أنها لم تخرج لحيز التنفيذ في صورة "**اتحاد العمال**" فإنها كانت قيمًا اورثتها لنا الهجرة الثالثة، ووبيهيأ لي أن الأهمية الرئيسية للهجرة الثالثة كانت قبول هذه القيم التي سلمها لنا رفاقنا في الهجرة الثانية، حيث اخذناها منهم بنية سليمة وبسرور، وحافظنا على وصاياها[٢٦].

٦ ـ "الهجرة السرية (غير الشرعية)":

وصل منذ بداية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين مهاجرون يهود إلى أرض فلسطين بشكل غير قانوني، بدون تأشيرات من جانب سلطات الانتداب البريطاني، وبشكل غير منظم. قرر المهاجرون التسلل عبر حدود فلسطين بسبب القيود التي فرضها البريطانيون على الهجرة[٢٧]. وحسب لوائح الكتاب الأبيض الأول عام ١٩٢٢م قيدت سلطات الانتداب الهجرة إلى فلسطين "وفقًا لقدرة الاستيعاب الاقتصادية الخاصة بالتجمع الاستيطاني الصهيوني"، ومنحت السلطات تأشيرات هجرة للأثرياء، أقارب مواطنين في فلسطين، طلاب، وأصحاب مهن محددة وغير ذلك.

المهاجرون الذين قدموا من أوروبا في العشرينيات عبروا سرا الحدود الشمالية، وهم يستعينون بأفراد من المستوطنات القريبة من الجليل، من خلال دفع رشوة لمهربين عرب في كلا جانبي الحدود، وبذلك منظمة "هاشومير" من تهريب مهاجرين كثيرين عبر الحدود، وكانوا يجلبون مجموعات تتكون من ٢٠ – ٤٠ فردا في كل مرة من لبنان وسوريا. كما هاجر بضع يهود إلى فلسطين على أنهم طلاب تم تسجيلهم للدراسة لفترة محددة ولم يعودوا إلى موطن رأسهم، وكان هناك شبان تزوجوا زواجا صوريا بغرض الهجرة، وهناك منهم من استعان بوثائق مزيفة، كما دخل الكثيرون فلسطين بوصفهم سائحين وبقوا للإقامة فيها. نظرا لأن هؤلاء المهاجرون قدموا بشكل غير منظم، ليس معلوما بدقة عددهم الذي تم تقديره بعدة آلاف. وأحد التقديرات يقول إن من دخل فلسطين قرابة خمسين ألف يهوديا بهذه الطرق السابقة في الأعوام بين ١٩٢٠ – ١٩٣٧م[٢٨].

٧ـ المفاهيم الصهيونية في الشعر العبري الحديث:

لم يعد المستوطنون الجدد _ومعظمهم من شرق أوروبا الذي يعج آنذاك بالفكر الاشتراكي_ يحلمون بالمزرعة الصغيرة المملوكة ملكية فردية؛ وإنما كانوا ينظرون لأنفسهم كرواد "**حلوتسيم حالوتسيم**" يناط بهم تطوير عدد من الفلسفات الصهيونية الاشتراكية وإعلاء الروح الطليعية والمصلحة الجماعية بين المهاجرين، وتفضيل الـ "نحن" على الـ "أنا" وتأجيج الرغبة في الهجرة إلى فلسطين في نفوس يهود الخارج، وانعكس ذلك كله بوضوح على الادب، للدرجة التي أطلق على هذا النوع من الأدب "**الادب الطليعي**"[٢٩].

(أ)– أوري تسفي جرينبرج وتشجيع مبدأ العمل العبري في قصيدة "ירושלים של מטה – צבא העבודה ـ القدس السفلية ـ جيش العمل":

يتناول الشاعر أوري تسفي جرينبرج في أحد أجزاء قصيدته المطولة "**القدس السفلية**" الذي يحمل عنوانا جانبيا هو "**جيش العمل**" مبدأ العمل العبري وتشجيعه بين المستوطنين الطليعيين، فنجده يقول:

וַאֲנִי בְּתוֹךְ צְבָא הָעֲבוֹדָה עַל חוֹף יָם הַתִּיכוֹן, עֲבוֹדַת הַפֶּרֶךְ שְׁפְאַר לָהּ הַיַּתְמוּת בָּעֶרֶב
וְאֵשׁ פַּפִּירוֹסוֹת וְדַם הָעֵינַיִם בְּסוּפָה, כְּמוֹ יַהֲלוֹמִים בְּסוּתָהּ שֶׁל מַלְכוּת- הָעֹנִי.
אֲנִי אוֹכֵל אֶת לַחְמִי עִמָּהֶם, אֶת לֶחֶם הַפָּנִים, וְעֲלֵיהֶם וְעָלַי הַכּוֹכָבִים הַגְּדוֹלִים נְצָבִים.
כֻּלָּם חָלְמוּ חֲלוֹם כְּמוֹ חוֹזִים וְיִהְיוּ כַּיְטָנִים אֲשֶׁר לֹא כָּתְבוּ בַּסֵּפֶר אַךְ כָּתְבוּ בַּנֶּפֶשׁ
וְחָרְזוּ חֲרוּזִים עֲמֻקִּים עַל לוּחַ הַיָּמִים.
עַד אֲשֶׁר יְהָבָם הִשְׁלִיכוּ עַל יָם בַּמִּכְמֹרֶת. עַד אֲשֶׁר בָּאוּ אֵל אִי אֱלֹהִים וְהַקְּלָלָה. [٣٠]

وأنا وسط جيش العمل على شاطئ البحر المتوسط، العمل الشاق الذي يكون اليتم في المساء فخرا له

ونيران لفائف السجائر ودم العيون في خيزرانها، تشبه ماسات في رداء مملكة الفقر.

أتناول خبزي معهم، وجه رغيف خبز، وتقف من فوقي وفوقهم النجوم الكبيرة.

جميعهم راودهم حلم مثل المتنبئين وكانوا شعراء لم ينظموا شعرا في كتاب لكنهم نظموا شعرا في الروح وصاغوا قوافي عميقة على لوحة الأيام.

يتناول في الأبيات السابقة جيش العمل الصهيوني من المستوطنين الطليعيين، فيقول أنه موجود في وسط هذا الجيش من العمال على شاطئ البحر المتوسط، هذا العمل الشاق الذي ينتهي في المساء بفخر سقوط بعضهم قتلى وتيتم الكثير من الأطفال بسبب وفاة والديهم، وهنا أجد النيران المتصاعدة من لفائف السجائر التي يدخنونها والعيون التي تستحيل دما من تدخينها، تشبه في شكلها ماسات في رداء مملكة الفقر المدقع الذين يعيشون في ظلها هنا، أتناول خبزي معهم، ويشير إلى وجه رغيف الخبز الذي يصلح للأكل فقط بسبب رداءة الأوضاع، وفي ظل هذا تظلله وتظللهم

جميعا النجوم الكبيرة التي ترصع السماء، فكل هؤلاء العمال الذين يعملون هنا راودهم حلم كما كان يراود المتنبئين اليهود على مدار التاريخ اليهودي، بل كانوا شعراء لكنهم لم ينظموا شعرا دونوه في كتاب، بل نظموا شعرا حفروه في النفوس ليظل باقيا عميقا، بل وصاغوا من القوافي ما سيظل مسجلا ومدونا في لوحة التاريخ.

ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

תָּבוֹא שְׁתִיקַת עֲדֵי אֱלֹהַי, מַה שֶּׁאֵינוֹ מְדַבֵּר וְנוֹשֵׂא בִּי כָּבוּשׁ וְרָגוּשׁ וּמְדֻמְדָּם. כַּשֶּׁמֶשׁ לִשְׁקִיעָה.

כִּי כָּבֵד מִלְתָאֵר בְּתַכְלִית הַפַּשְׁטוּת כָּל עֹמֶק הַדְּאָגָה הַהִיא שֶׁל הַגּוּף וְכָל זוֹ הַהִתְלַבְּטוּת, כָּל עֹמֶק הַיּוֹפִי הַזֶּה שֶׁל הַסֵּבֶל הַחוֹגֵג. (٣١)

سيحل صمت شهود ربي، الذي لا يتكلم ويحملني حافظا ومشتاقا ومنتشيا.

مثل الشمس التي تغرب.

لأنه من الصعب وصف باستعمال الطبيعة كل عمق ذلك القلق الخاص بالجسد وكل هذا التخبط،

كل عمق هذا الجمال الخاص بالمعاناة المبتهجة.

ويواصل الشاعر كلامه في الأبيات السابقة متحدثا عن صمت الملائكة من شهود الرب الذي يقف أمامهم صامتا لا يتكلم، بل ويدفع فيه مشاعر الحفظ والاشتياق والنشوة مثل مشهد رؤية الشمس وهي تغرب. وهذا لأنه من الصعب أن نصف استعمال الطبيعة البسيطة كل عمق القلق الخاص بجسد كل عامل من العمال اليهود الطليعيين، بل والصعوبة قائمة في وصف ما يمر به هذا الشخص من تخبط، بل ووصف عمق الجمال الخاص بهذه المعاناة التي تتسم بالبهجة رغم أنها في نهاية الأر شعور بالمعاناة، ولكن في سبيل تحقيق الحلم الصهيوني.

ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

אִי־אִמָּא, דְּעִי, אִם תַּרְאִינִי לֹא תַּכִּירִינִי. חָבֵר אָנֹכִי לְכַת הַיְחֵפִים בַּיְשִׁמְיוֹן. הַדַּלּוּת כָּאן הוֹלְכָה בְּתָגָא שֶׁל שָׁמִיר וְשַׂיִת וּמַטָּה שֶׁל זָהָב לָהּ גְּדוֹלָה עַל חוֹף יָם הַתִּיכוֹן!(٣٢)

لا، فلتعلمي يا أمي، إن رأيتيني لن تتعرفي عليَّ. إنني رفيق لزمرة الحفاة في البيداء.

العوز يسير هنا بتاج من الأشواك وله صولجان كبير من الذهب على شاطئ البحر المتوسط!

ينتقل الشاعر في الأبيات السابقة مخاطبا والدته، فيقول لها إنه عندما تراه لن تتعرف عليه بفعل التغيرات التي طرأت على مظهره الخارجي بفعل ما مر به من معاناة وألم في ظل عمله بالمشروع الاستيطاني الطليعي في فلسطين، فهي لن تتعرف عليه لأنه صار عضوا في فرقة من الحفاة الذين يعيشون في البيداء، والفقر والعوز هنا في هذا المكان بالبيداء، يشبه الملك المتوج في

مملكته، لكنه هنا لا يعتمر تاجا من الماس، بل تاج من الأشواك، ويمتلك صولجانا كبيرا من الذهب على شاطئ البحر المتوسط.

يختتم الشاعر قصيدته قائلا:

כִּי אֵל מִי לִפְנוֹת עַתָּה בְּגוּף מְלֵא-דָּם כְּמוֹ יַיִן, בְּלַחַשׁ הַחַם מִנִּי פֶּה אֲשֶׁר נִפְתַּח כַּפְּצַע.
מִי יָקָר בַּיְקוּם מִלְבַד זוֹ הָאָרֶץ הַיְקָרָה אִם לֹא אִמָּא אַחַת בַּגּוֹלָה –
"דְּעִי، אִם תַּרְאִינִי"!(٣٣)

إلى من نتوجه الآن بجسد يغمره الدم مثل النبيذ، في صمت الحرارة من الفم الذي انفتح مثل الجُرح.

ما أغلى في الكون أكثر من هذه الأرض الغالية إن لم تكن أم واحدة في الشتات ـ

" فلتعلمي، إن رأيتيني ".

ولايزال يخاطب والدته، فيقول يا أمي إلى من نتوجه بجسد بفعل العمل الشاق صار يغمره الدم مثل النبيذ، وفي صمت نجد الحرارة تتصاعد من الأفواه بفعل الحمى وكأنها جرح انفتح بعد أن اندمل، ويقول إنه لا يوجد شيء في الكون أغلى وأثمن من هذه الأرض الغالية في فلسطين سوى أم واحدة ووحيدة في الشتات، لذا فهو ينبه أمه أن تنتبه عندما تقابله بأنها لن تتعرف عليه.

(ب)– يتسحاق لمدان ودعم العمل والحراسة العبرية في قصيدة " ماسادا ":

يتحدث لمدان في قصيدته على مبدأ دعوة المهاجرين الطليعيين في أرض فلسطين وخارجها للتمسك بالعمل والحراسة للحفاظ على تحقيق الحلم الصهيوني الاستيطاني، وأن أرض فلسطين تُعد احدى المحاور الأساسية والمهمة في أفكار لمدان الصهيونية التي تناولها في أشعاره فنجده يقول:

הֻגַּד לִי:
נֵס-מָרֵד אַחֲרוֹן הוּנַף שָׁם
וְתוֹבֵעַ מִשְׁחָקִים וָאָרֶץ، אֵל וְאָדָם:
'שְׁלוֹמִים!'
וְעַל לוּחוֹת-סְלָעִים צִפָּרְנַיִם עַקְשָׁנִיוֹת
חוֹרְתוֹת בְּשׁוֹרַת הַנִּחוּמִים؛
מוּל גּוֹרָל-דּוֹרוֹת אוֹיֵב
חֲזֵה-קֶרִי בִּשְׁאָגָה הֻבְלַט שָׁם:
'רָב!
אָנֹכִי אוֹ אַתָּה!
פֶּה מִשְׁפָּט אַחֲרוֹן יֵחָרֵץ
הַקְּרָב!' (٣٤)

قيل لي:

ترفرف هناك راية تمرد أخيرة

تطالب السموات والأرض، الرب والإنسان:

"بالجزاء والتعويض!"

وعلى الألواح الحجرية توجد أظفار عنيدة

تنحت بشرى المواساة،

وفي مقابل مصير أجيال معادي

فهناك يزأر شخص:

يا أيها السيد!

أنا أم أنت!

فالكلمة الأخيرة هنا

للمعركة.

يطالعنا الشاعر في الأبيات السابقة عن شاب يهودي يحكي ما قيل له عن الماسادا رمز (أرض إسرائيل)، من أن هناك راية تمرد أخيرة والتي ترمز للعمل العبري في فلسطين، ترفرف في السماء عالية خفَّاقة تطالب السموات والأرض، والإله والإنسان على حد سواء أن تقدم لليهود التعويض والجزاء المناسب بالسماح لهم بالعمل في أرضهم ـ في نظره ـ فهؤلاء اليهود المهاجرون الطليعيون ينحتون على الألواح الحجرية التي ترمز هنا إلى الصخور في أرض فلسطين، بأظفارهم العنيدة الصلدة، بشرى المواساة لإخوانهم في أرض فلسطين وخارجها، فكل غايتهم هو العمل والحفاظ على هذا العمل بشتى الطرق، وفي مقابل المصير التاريخي الذي حاق باليهود الاضطهاد والعداء على مدار أجيال ، نجد اليهودي الطليعي المهاجر العامل يزأر كما الأسد في وجه العرب والبريطانيين على حد سواء، قائلا: أيها السادة البقاء في هذه الأرض سيكون حليف من؟ هل أنا اليهودي الطليعي المهاجر أم أنتم أيها العرب والبريطانيين، وإن احترتم في ذلك اتركوا الرد على هذا السؤال للمعركة، فأنا سأزود عن مشروعي الاستيطاني بكل الطرق لكي أحميه منكم، ولن يتأتى ذلك إلا بتدريب شباني وشاباتي على حراسة حلمهم ومشروعهم. ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

הַגֵּד לִי:
עַל רָאשַׁי הַלּוֹחֲמִים
שְׁכִינָה רוֹעֶפֶת-כְּפוּרִים יָרָדָה،
וּמִבַּעַד לְמָסָךְ-בָּאוֹת עֵין-שַׁחֲרִית גְּדוֹלָה צוֹפָה
וּמַשְׁגַּחַת עֲלֵי מַסָּדָה. (٣٥)

قيل لي:

فوق رؤوس المحاربين

هبطت سكينة تقطر غفرانا

ومن خلف ستار الغيب تبدو عين فجر واسعة تشاهد

وترعى الماسادا بالعناية.

يواصل الشاعر حديثه في الأبيات السابقة حديثه على لسان الشاب اليهودي الطليعي المهاجر، فيقول إن هؤلاء المقاتلين اليهود الذين يحرسون المستوطنات تظلهم الروح القدس بالسكينة التي تقطِّر غفرانا لهم، تحميهم وتقف في صفهم ضد من يريدون أن يحيقوا بهم السوء والخطر، وليست الروح القدس فقط من تشاهد هؤلاء وهم يزودون عن مشروعهم وحلمهم الاستيطاني، بل يبالغ الشاعر بقوله إن عين الرب الواسعة الساهرة من خلف ستار الغيب تشاهد ما يحدث وترعى الماسادا (المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين) بجل رعايتها واهتمامها.

(ج)– المفاهيم الصهيونية في أشعار ناتان ألترمان:

يعتبر الشاعر ناتان ألترمان من أكثر شعراء العبرية الذين تحدثوا عن المفاهيم الصهيونية التي نشأت وتولدت في عصر موجات الهجرة الصهيونية المختلفة إلى فلسطين، ومن أهم هذه المفاهيم أهمية التشديد على قيمة الحراسة العبرية، ونجده يتحدث عن هذا المفهوم في قصيدته الشهيرة التي تحمل عنوان "**הנערה משדה בוקר ــ الفتاة من مستوطنة سديه بوكر**" التي يتحدث فيها عن مقتل إحدى فتيات هذا الكيبوتس من راعيات الغنم على أيدي العرب وتدعى "**باربرا بروبار ــ ברברה פרופר**" [٣٦]، فنجده يقول:

... וּפִתְאֹם
מֵהָרֵחַק،
מִבִּקְעָה נִדַּחַת
מִשָּׁם נַעֲרָה אַלְמוֹנִית לָאֵל.
דֶּרֶךְ יוֹם، דֶּרֶךְ גֶּבֶב הָעִסּוּק וְהַפַּחַז
הַמַּכְהִים אֶת עֵינֵינוּ מִשַּׁחַר עַד לַיִל،
דֶּרֶךְ גַּיְא، דֶּרֶךְ הָר، דֶּרֶךְ לַיְלָה וְשַׁחַר،
פּוֹרֶצֶת،
קָמָה،
אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל... [٣٧]
... وفجأة
من بعيد،
من وادٍ ناءٍ
من اسم فتاة مجهولة الاسم إلى الرب.
عبر النهار، عبر كومة العمل والسرعة
التي تجعل أعيننا معتمة من الفجر وحتى الليل،
عبر جدول الماء، عبر الجبل، عبر الليل والفجر،
تقتحم،
تنهض،

أرض إسرائيل...

يحدثنا الشاعر ناتان ألترمان في الأبيات السابقة عن منطقة مستوطنة "**سديه بوكر**"، فيقول إنه فجأة من بعيد في أحد الوديان النائية البعيدة، من اسم فتاة مجهولة الهوية إلى ربها تناجيه، عبر ضوء النهار وتراكم العمل السريع الذي يصيب العيون بالنعاس جراء التعب والإرهاق الشديد، عبر جدول الماء والجبال والليل والفجر، تنهض هذه الفتاة البطلة التي تمثل (أرض فلسطين) لتقتحم عملها في رعي الأغنام.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

הִנֵּה,
בַּהֶמְלַת הָרְחוֹב הַמִּתְפַּקֵּר,
בְּעֻצַּם הֲמוּגוֹ וּבְהִילוּתוֹ שֶׁל יוֹם,
נִצֶּבֶת הִיא עִם נַעֲרָה מִשְׁדֵּה-בוֹקֶר-
חוֹלֶפֶת עַל פָּנֵינוּ דֹּם. (٣٨)

هنا،

في ضجيج الشارع العفن

في واقع الإيقاع السريع للنهار،

وقفت هي مع الفتاة من سديه بوكر–

تمر علينا في صمت.

يواصل الشاعر كلامه عن تلك الفتاة، فيقول هنا في ضجيج الشارع العفن في المستوطنة، وفي ظل الإيقاع السريع في النهار، وقفت (أرض فلسطين) مع الفتاة من مستوطنة سديه بوكر، تمر علينا في حالة من الصمت.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

וְאֵין אָנוּ שׁוֹמְעִים לְפַתַּע אֶת קוֹלָם
שֶׁל מְשָׁרְכֵי דְּרָכִים עַל מְבַלֵּי עוֹלָם
וְשֶׁל גּוֹרְפֵי מָמוֹן וְשֶׁל רוֹדְפֵי כָּבוֹד
אֲשֶׁר הָפְכוּ אֶת פְּנֵי הָאָרֶץ נַעֲוָות... (٣٩)

وفجأة لا نسمع صوت

كسالى الشوارع عن العاطلين

جامعي الأموال وملاحقي الكرامة

الذين جعلوا وجه البلاد ملتويا.

يواصل الشاعر كلامه قائلا: فجأة لا تسمع أصوات الكسالى والمتبطلين العاطلين، وكذلك من لا هم لهم سوى جمع الأموال، وملاحقة الحصول على التكريم، الذين جعلوا وجه البلاد وجها

عابسا ملتويا، أولئك الذين تقاعسوا عن القيام بدورهم في حراسة المستوطنة، وحراسة أفرادها، مما جعل مصير هذه الفتاة القتل.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

חוֹלֶפֶת עַל פָּנֵינוּ זוֹ רוֹעַת הָעֵדֶר,
כְּמֵעוֹלָם אַחֵר. אֲשֶׁר עוֹדֵנוּ כָּאן.
כְּמֵעוֹלָם אַחֵר, וְהוּא עוֹלָם שֶׁל נֶדֶר,
עוֹלָם שֶׁל נְתִינָה וְשֶׁל קָרְבָּן. (٤٠)

تمر علينا راعية الغنم هذه،

كأنها من عالم آخر. عالم غير موجود هنا.

كأنها من عالم آخر، وهو عالم النذر،

عالم العطاء والتضحية.

يواصل الشاعر كلامه بقوله إن هذه الفتاة راعية الغنم عندما تمر علينا نشعر وكأنها من عالم آخر مختلف، عالم غير موجود على الأرض في هذه الدنيا، وكأنها ملاك يسير على الأرض، ملاك من عالم مختلف تسوده مجموعة من القيم الأخلاقية التي يفتقر إليها الكثير من البشر مثل النذر والعطاء والتضحية في سبيل الآخرين.

يختتم الشاعر القصيدة بقوله:

-- וְאַחַר כָּךְ גַּל-עַד וְצִיּוֹן-שֵׁם קָמִים
לְאוֹת וּלְזִכָּרוֹן עֲלֵי עָפָר.
וּבְנֵי הָעָם הַזֶּה, אִם עוֹד אֵינָם סוּמִים,
רוֹאִים אֶת הַמַּסָּד וְהָעִקָּר. (٤١)

-- وبعد ذلك تنهض جبال جلعاد وصهيون

كعلامة وذكرى على التراب.

وأبناء هذا الشعب، إن لم يزالوا عميانا

يرون المبدأ والأساس.

يختتم الشاعر قصيدته بمسألة أن جبال جلعاد وصهيون ستنهض دفاعا عن مقتل هذه الفتاة البريئة، تنتقم لمقتلها ممن قتلوها مخلفين وراءهم علامة وذكرى على تراب قبرها الزكي، أما أبناء المجتمع الإسرائيلي، إن كانوا قد برأوا من مرض العمى، فسيكون في مقدورهم أن يشاهدوا المبدأ والأساس الذي ضحت هذه الفتاة بحياتها في سبيلهما.

ويعرض ألترمان في أشعاره مفهوما صهيونيا آخر يتمثل في ظاهرة "**ההעפלה ـ الهجرة السرية (غير الشرعية)**"، فنجده يتعرض لهذه القضية موضحا ما يمر به هؤلاء المهاجرون، فنجده يقول في قصيدة له بعنوان "**ערב ـ مساء**":

מֵעַל גַּבּוֹ פָּנָס קָרִיר
עוֹמֵד זָקוּף, בְּלִי מִי- לִי מַה- לִי...
יָרֵחַ מִתְנַגֵּב לָעִיר
כְּמוֹ עוֹלֶה בִּלְתִּי לֶגֶלִי. (٤٢)

فوق ظهره مصباح بارد

يقف منتصبا، بدون شخص يسانده أو شيء يدعمه

قمر يتخلص من بلله للمدينة

مثل مهاجر غير شرعي.

يصف الشاعر في الأبيات السابقة مدينة تل أبيب في ساعات المساء المبكرة بصورة ساخرة، أما "**مهاجر غير شرعي**" فقد كان مصطلحا سائدا في فلسطين، حتى قبل حركة الهجرة السرية غير الشرعية المنظمة، فبسبب القيود التي فرضها البريطانيون على الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وجد الكثيرون سبيلهم في القدوم عن طريق تسلل الأفراد عبر موانئ فلسطين، التسلل عبر الحدود المتاخمة للبنان وسوريا، الزواج الصوري بشخص لديه إقامة، والأهم من كل ما سبق الدخول إلى فلسطين في صورة سائح والذوبان فيها بعد انتهاء الزيارة.

ينقلنا ألترمان في قصيدة أخرى بعنوان "**היינו כחולמים ـ كنا كمن يراوده حلم**"، ويرد فيها وصف أفراد الهجرة السرية (غير الشرعية) والصدام مع البريطانيين، فنجده يقول:

אֲנִיָּה כְּבוּיַת אוֹרוֹת
מוּל פְּנֵי הָעִיר.
רָקִיעַ זָר. סִירוֹת שְׁחוֹרוֹת.
מַשַּׁק מָשׁוֹט זָהִיר.
הַיָּם כָּבֵד, הַלַּיְלָה מֵת.
אֵי-מִי גּוֹנֵחַ... הַס!
יָרֵחַ פֶּלְאִי מִתְנוֹדֵד
מִלְמַעְלָה כְּפָנָס.
הָאֵם לוֹחֶצֶת אֶת הַבַּת.
יָדֶיהָ חֲזָקוֹת.
שְׁתְקִי. עוֹד רָגַע. עוֹד מְעַט
מֻתָּר יִהְיֶה לִבְכּוֹת. (٤٣)

سفينة معتمة الأنوار

في مقابل المدينة.

سماء غريبة. زوارق سوداء اللون.

البحر حركته بطيئة، والليل سدل أستاره

شخص ما يتأوه... صمتا!

يتأرجح قمر عجيب

في السماء مثل مصباح

الأم تدفع الابنة.

يداها قويتان.

اصمتي. لحظة أخرى. بعد قليل

سيكون من المتاح أن تبكين.

يصف لنا الشاعر في الأبيات السابقة إحدى سفن الهجرة السرية (غير الشرعية)، فيقول إنها سفينة مطفأة الأنوار، في مقابل مدينة حيفا التي تتلألأ نورا، والسماء شكلها غريب وتوجد في الأرجاء زوارق سوداء اللون لنقل المهاجرين إلى الشاطئ، سوداء اللون لتمتزج مع لون سواد الليل حتى لا يتعرف البريطانيون على الزوارق ويقبضون على من فيها، والبحر كانت حركة أمواجه بطيئة والليل يسدل أستاره، في ظل هذا المشهد يفاجئنا الشاعر بوجود شخص يتأوه ألما، ويجيبه شخص آخر أن يصمت، وهنا نجد لوحة تضم حوارا بين أم وابنتها الطفلة الصغيرة، تهدأ الأم من روعة الابنة وتعدها بأنه سيمكنها أن تبكي كيفما يحلو لها بعد قليل عندما يصلون إلى الشاطئ حيث بر الأمان.

ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

... שְׁרִיקָה-
צְלִיפַת אוֹרוֹת-
עָמֹד-!
בְּשֵׁם הַחֹק--!
וְשׁוּב דְּמָמָה. סִירוֹת שְׁחוֹרוֹת.
וּבְכִי תִּינוֹק. (٤٤)
... صافرة –
الأنوار تجلد الأجواء بسوطها–
توقف–!
باسم القانون––!
ومرة أخرى حالة من الصمت. زوارق سوداء اللون.
وبكاء رضيع.

يعرض ألترمان في الأبيات السابقة النشاط البريطاني في مكافحة الهجرة السرية غير الشرعية، فنجده يصور أحد الزوارق البريطانية التي يطلق من على متنها صافراتهم، بل ويصور الأنوار الموجودة على هذا الزورق وكأنها سوط يجلد المهاجرين ليكشف سترهم، ويصيح أحد

الضباط البريطانيين قائلا: توقف، باسم القانون توقف، ومرة أخرى يسود صمت مطبق لأن الضابط لم يعثر على أحد من المهاجرين، حيث إن الزوارق قد امتزجت في لوحة فنية بلونها الأسود مع أجواء الليل فصارت غير مرئية، أما الدليل الوحيد على وجودها فيتمثل في بكاء يصدر عن أحد الرضع من المهاجرين، سرعان ما يتلاشى صوت بكائه في الفضاء الواسع.

ويختتم ألترمان قصيدته قائلا:

הָיָה חֲלוֹם. הֲאִם אַחֲרוֹן?
גַּלִּים בַּחוֹף הוֹלְמִים-
בְּשׁוּב הַשֵּׁם שִׁיבַת צִיּוֹן
הָיִינוּ כְּחוֹלְמִים! (٤٥)

كان حُلم. هل كان آخر الأحلام؟

تهز أمواج الشاطيء

بعودة الاسم العودة إلى صهيون

كنا كمن يراوده حلم!

يعبر الشاعر في الأبيات السابقة عن حلم كل يهودي بالعودة إلى أرض فلسطين، ويتساءل هل هذا آخر الأحلام، فالمهاجرون يستقلون الزوارق التي تصدر أمواجا تضرب بها الشاطيء إيذانا بعودتهم إلى أرض الآباء، هذه العودة التي تخيلوها وهم يقظون وكأنهم يراودهم حلم جميل ما بعده حلم آخر.

يحدثنا ألترمان في قصيدة أخرى عن مفهوم صهيوني آخر وهو "العمل العبري" وذلك من خلال قصيدة له تحمل عنوان "**פועלי הבניין ـ عمال البناء**" يعالج من خلالها دور عمال البناء في إرساء أركان الدولة اليهودية في فلسطين، فنجده يقول:

פּוֹעֵל בִּנְיָן. שְׁתֵּי הַמִּלִּים בַּפֶּתַח
עוֹמְדוֹת בִּכְבֵדוּתָן הָאַפְרוּרִית
מִלִּים לֹא חֲדָשׁוֹת... מִלִּים עִם וָתֵק...

טוֹב שֶׁיִּשְׁנָן כָּאֵלּוּ בְּעִבְרִית. (٤٦)
عامل بناء. كلمتان في المدخل

تقفان بثقلهما الرمادي

كلمات ليست بجديدة... كلمات تحمل الخبرة...

جيد أنه يوجد مثلهما في العبرية.

يطالعنا الشاعر في الأبيات السابقة بالحديث عن مهنة عامل البناء، فنجده يتحدث عن منزل أحد هؤلاء العمال، فنجد أن هذا الشخص كتب مهنته على باب منزله بأحرف ضخمة علاها اللون

الرمادي بفعل الزمن، ويقول الشاعر إن هاتان الكلمتان "عامل بناء" ليستا جديدتين ، فهي كلمات تحمل الخبرة والحنكة، ومن الجيد أن اللغة العبرية تضم في مرادفاتها كلمات مثلهما.

ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

מִלִּים נָאוֹת יֵשׁ: מְרִיצָה, טַבָּרָה,
טַפְסָן, סַתָּת- -
כָּל זֶה יָשָׁן נוֹשָׁן.
אַךְ אִם דָּנִים קְצַת עַל בִּנְיַן הָאָרֶץ
כָּל זֶה שַׁיָּךְ לְעֶצֶם הָעִנְיָן... (٤٧)

توجد كلمات لطيفة: عربة يد، محور عجلة دوارة،

متسلق مرتفعات، ناحت الأحجار

كل هذه كلمات أكل عليها الدهر وشرب.

لكن لو تناقشنا قليلا حول بناء البلاد

فكل هذا ينتمي إلى صلب الموضوع...

يواصل الشاعر في الأبيات السابقة الحديث عن جميع الأفراد الذين يهملون في مهنة البناء، فيقول إنه توجد كلمات لطيفة أخرى أيضًا في اللغة العبرية، تتعلق بمجال البناء نفسه، مثل عربة اليد التي يحملون فوقها الأحجار وخلافه، ومحور العجلة الدوارة التي يرفعون عن طريقها ما يحلو لهم، وهناك الشخص الذي يتسلق المرتفعات ليقوم بعمله على السقالات، كما يوجد أيضًا الشخص الذي يقوم بنحت الأحجار التي تستخدم في البناء، ويقول إن هذه المصطلحات والكلمات صارت قديمة جدا في اللغة العبرية، ولو تناقش الجميع حول بناء التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين سيجد أن كل هذه المصطلحات تتعلق بصلب الموضوع وذات أهمية بمكان الاستيطان.

ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

זֶה הַפִּגּוּם. זֶהוּ עֵרְבַּל הַמְּלֶט
וּבוֹר הַסִּיד
וְכַף הַטַּיָּחִים.
זֶה כָּל אוֹתָהּ תִּפְאֶרֶת מְהֻלֶּלֶת
שֶׁסָּבְבָה בָּעִיר וּבַדְּרָכִים. (٤٨)

هذه هي السقالة. هذا هو خلاط الإسمنت

وحفرة الكلس

ويد الجصاصين.

هذا كله المجد البهي نفسه

لف المدينة والطرق.

يستعرض الشاعر في الأبيات السابقة الأدوات التي يستخدمها عمال البناء في عملهم، فيعرض لنا السقالة التي يقفون عليها، وخلاط الإسمنت الذي يستخدمونه في البناء، وحفرة الكلس الذي يستخدم في الأبنية من الداخل ويد الجصاصين الذين يستخدمون الجص والكلس في عملهم، كل هذه الصورة الرائعة البهية التي تمثل مجدا بهيا زاهيا كان يلف أنحاء المدينة ويوجد في كل الطرق.

ويختتم الشاعر قصيدته قائلا:

זֶהוּ מְשֻׁגָּע נוֹטֵף זֵעָה וְשָׁמֶשׁ
וָבָא עִם כְּלֵי-מְלַאכְתּוֹ הַסּוֹאֲנִים
עַל אַף כָּבְדוֹ תָּמִיד הָיָה בּוֹ שֶׁמֶץ
מִן הַנַּיָּד וּמִן הַצּוֹעֲנִי. (٤٩)

إنه مصطلح يقطر عرقا وشمسا
ويأتي مع كل أدوات صنعته المفعمة بالضجيج
وعلى الرغم من ثقل وزنه كان فيه دائما القليل
القدرة على التنقل ومن لغة الغجر.

يعود بنا الشاعر في الأبيات السابقة إلى مصطلح عامل البناء، فيقول إنه مصطلح يقطر عرقا وشمسا؛ أي الحديث عما يتعرض له عامل البناء من الوقوف في الشمس الحارقة التي تجعله يتصبب عرقا، ويأتي عامل البناء ومع أدوات صنعته التي تحدث ضجيجا في المكان، ورغم ثقل وزن هذا العامل كانت لديه دائما القليل من القدرة على التنقل والقليل من لغة الغجر التي اكتسبها بفعل تنقله في جميع أنحاء فلسطين ليختلط بكل الفئات وفي مقدمتهم الغجر الذين صار يتحدث بلغتهم.

الخاتمة والاستنتاجات:

ـ تنوعت المفاهيم الصهيونية الجديدة إبَّان موجة الهجرة الصهيونية الثالثة، بما يتناسب مع المرحلة، فقد ظهرت مفاهيم في موجات سابقة عليها، إلا أنها أخذت مكانها البارز في فترة الهجرة الثالثة، وفي مقدمتها احتلال الأرض، واحتلال العمل واحتلال الحراسة، بينما ظهر مفهوم صهيوني جديد تمثل في الهجرة السرية غير الشرعية إلى فلسطين نتيجة لتضييق سلطات الانتداب البريطاني الخناق على هجرة اليهود إلى فلسطين.

ـ تنوعت رؤى شعراء الهجرة الثالثة للأنماط الاستيطانية الجديدة، فنجد جرينبرج قد قام بتمجيد العمل الاستيطاني بشكل أشبه بالتمجيد الأسطوري للمهاجرين الطليعيين، بينما جاء لمدان ليؤكد على مبدأ دعوة المهاجرين الطليعيين في أرض فلسطين وخارجها للتمسك بالعمل والحراسة للحفاظ على تحقيق الحلم الصهيوني الاستيطاني، أما ألترمان؛ فيعدُّ من أكثر شعراء العبرية الذين

تحدثوا عن المفاهيم الصهيونية التي نشأت وتولدت في عصر موجات الهجرة الصهيونية المختلفة إلى فلسطين، ومن أهم هذه المفاهيم أهمية التشديد على قيمة الحراسة العبرية، وأهمية تشجيع الهجرة السرية غير الشرعية، كما أوضح بشكل بالغ أهمية مهنة البناء ومن يمتهنونها من عمال البناء، إذ إنهم من حملوا على عاتقهم مهام بناء المستوطنات وجعلوا من حلم الاستيطان الصهيوني حقيقة على أرض الواقع.

الهوامش:

(١) חיים גבתי . הכיר את הקיבוץ, הקיבוץ המאוחד,תל אביב,1987,עמ"103.

(٢) محمد عبد الرؤوف سليم. نشاط الوكالة اليهودية في فلسطين منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل، ١٩٢٢–١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٤٤.

(٣) פישמן, אריה. בין דת לאידיאולוגיה, יד יצחק בן–צבי, ירושלים, 1990, עמ" 61–60.

(٤) ליפשיץ, משה. המשטר הדמוקרטי בישראל, מעמדה של הדת היהודי במדינת ישראל, אור עם, 1990, עמ" 133.

(٥) صلاح الزرو. المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، مركز الأبحاث، الخليل، ١٩٩٠م، ص ٢١١.

(٦) عبد الوهاب المسيري. الصهيونية والحضارة العربية، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ٣٣٣–٣٣٤.

(٧)דורון, אדם. מדינת ישראל וארץ ישראל, הוצאת בית ברל, 1988, עמ" 421–420.

(٨)بني עקיבא ابناء عكيفا: وهي حركة الشبيبة التابعة للعامل المزراحي، أقيمت عام ١٩٢٧م. والتي تم على يد اتباعها إنشاء سلسلة من المدارس الدينية الصهيونية الثانوية في (إسرائيل). للمزيد انظر: ליפשיץ, משה . שם, עמ" 133.

(٩)عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل: دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص ٢٤٧.

(١٠) رشاد عبدالله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٨٦)، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٩٩٣م ، ص ص ١٠٢–١٠٣.

(١١)صحفي ومنظر صهيوني. أحد واضعي أُسس الصهيونية الاشتراكية. ولد في روسيا عام ١٨٦٨م. كان أحد النشطاء في جمعية (أحباء صهيون). شارك في ثورة ١٩٠٥م الروسية، وأصبح فيما بعد عضوا في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧م برئاسة هرتسل. تزعم حركة عمال صهيون (بوعالي تسيون) في الولايات المتحدة، ثم أصبح من رؤساء الحركة العمالية العالمية. تركت أفكاره اثرا في بلورة الحركة العمالية

العبرية والاستيطان في فلسطين. توفي في نيويورك عام ١٩٢٤م. للمزيد انظر: 'נחמן סירקין'، בתוך: אפרים ומנחם תלמי ,לקסיקון ציוני ,תל אביב: מעריב، 1982.

(١٢) صبري جريس. تاريخ الصهيونية (١٨٦٢–١٩٤٨)، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧م ، ص ٢٥٢.

(١٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٦.

(١٤) קיסר، ישראל. תרומתם של יהודי תימן במאבק לכיבוש העבודה، ת"א: אעלה בתמר، 2006. עמ' 246 – 247.

(١٥) ויילר، יעל. הקסם של "השומר הצעיר"، קתדרה، (88)، 1998، עמ' 74 – 75.

(١٦) ויילר، יעל. הקסם של "השומר הצעיר"، שם،עמ' 78 – 79.

(١٧) שם، עמ' 79.

(١٨) מינץ، מתתיהו. התנועה השומרית (1911 – 1921)، ת"א: התנועה הציונית، 1995، עמ' 18.

(١٩) جمال عبد السميع الشاذلي ونجلاء رأفت سالم . القصة العبرية مراحلها وقضاياها، ط٢، الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٠م ، ص١٣٧.

(٢٠) وداد فارس مالك، الحركة الصهيونية في فلسطين وصداها من عام ١٩١٧–١٩٢٩م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص٤٦٢.

(٢١) رشاد عبدالله الشامي، اشكالية الهوية في إسرائيل ،عالم المعرفة ٢٢٤، الكويت، ١٩٩٧م، ص٥٦.

(٢٢)לשם، נורית. בני דור המייסדים, הדור השני, שדמות, אוגיסט, 1989, נליון ק"ח, עמ"62.

(٢٣) עפרת, גדעון . אדמה, אדם, דם, מיתוס החלוץ ופולחן האדמה במחזות ההתישבות, צירי קובר, ת"א, 1980, עמ"23.

(٢٤) رشاد عبدالله الشامي، اشكالية الهوية في إسرائيل ، مرجع سابق، ص ص ٥٨–٥٩.

(٢٥)عبد الوهاب كيالي. الكيبوتز أو المزارع الجماعية في اسرائيل ، منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الابحاث، بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٦.

(٢٦) رشاد عبدالله الشامي، اشكالية الهوية في إسرائيل ، ص٥٦.

(٢٧) שפירא، דוד ה. ראשיתה של ההעפלה: שנות הממשל הצבאי (1918 – 1920)، בתוך: אניטה שפירא (עורכת). ההעפלה، מאסף לתולדות ההצלה، הבריחה، ההעפלה ושארית הפליטה، ת"א: אוניברסיטת תל אביב ועם עובד، 1990. עמ' 16 – 18.

(٢٨) האנציקלופדיה העברית, כללית, יהודית וארצישראלית, ירושלים ותל- אביב, 1974,כרך (ו') עמ' 538.

(٢٩) زين العابدين محمود أبو خضرة. تاريخ الادب العبري الحديث، (د.ن)، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٣.

(٣٠) גרינברג، אורי צבי. כל כתביו (אימה גדולה וירח), מוסד ביאליק, ירושלים, 1990، עמ' 66.

(٣١) שם. עמ' 66.

(٣٢) שם. עמ' 66.

(٣٣) שם. עמ' 66.

(٣٤) למדן، יצחק.כל שירי יצחק למדן، מבוא שמעון הלקין, מוסד ביאליק, ירושלים,1973، עמ' 27-28.

(٣٥) שם، עמ' 28.

(٣٦) باربرا بروبر: فتاة يهودية من مواليد سويسرا عام ١٩٣٠م، ابنة متبناة للدكتور عمانوئيل بروبر، تلقت تعليمها التقليدي في القدس، وبعد حرب فلسطين ١٩٤٨م انتقلت إلى سويسرا لإكمال تعليمها العالي في الفلسفة والأديان واللغات، انضمت إلى مؤسسي مستوطنة سديه بوكر وأصبحت مسئولة فيها عن رعي قطيع الأغنام، وفي عام ١٩٥٢م أطلق عليها مجموعة من المتسللين البدو النار فسقطت صريعة في الحال، وتم سرقة قطيع الغنم منها. للمزيد انظر:

http://laad.btl.gov.il/Web/He/Victims/111.aspx?ID=37223

(٣٧) אלתרמן، נתן. הטור השביעי، (א)، תל-אביב: עם עובד, 1948، עמ' 428.

(٣٨) שם، עמ' 429.

(٣٩) שם، עמ' 429.

(٤٠) שם، עמ' 429.

(٤١) שם، עמ' 430.

(٤٢) שם، עמ' 11.

(٤٣) שם، עמ' 41.

(٤٤) שם، עמ' 42.

(٤٥) שם، עמ' 42.

(٤٦) שם، עמ' 447.

(٤٧) שם، עמ' 447.

(٤٨) שם، עמ' 447_448 .

(٤٩) שם، עמ' 448.